الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة   خميس مليانة
كلية الآداب واللغات   قسم اللغة العربية

محاضرات في علوم القرآن

السنة الأولى ليسانس (ل م د) جذع مشترك

إعداد الدكتور: عبد الكريم حمادوش

المحاضرة الأولى

مدخل إلى علوم القرآن

تعريفات موجزة لمصطلحات متعلقة بعلوم القرآن

علوم القرآن -الكتاب

أولا: تعريف علوم القرآن.

إن تعريف كلّ مركب إضافي يقتضي – أولا – التعريف بجزئيه اللذَين تركب منهما، ثم التعريف به باعتباره مركبا:

01 – تعريف مصطلح "علوم":

أ – تعريفه لغة: مصطلح "علوم" جمع مفرده "علم"، وقد عرفه العلماء تعريفات متعددة، قال ابن فارس: "العلم نقيض الجهل"، وقال الراغب الأصفهاني: "العلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه"، وقال الفيومي: "العلم هو اليقين، يقال: علم، يعلم، إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضا".

ب – تعريفه اصطلاحا:

أما باعتبار الإضافة: فهو كل علم يخدم القرآن الكريم أو يستند إليه.

وأما باعتباره لقبا: فهو عبارة عن مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه ونحو ذلك.

02 – تعريف مصطلح "القرآن":

أ – تعريفه لغة: ورد لفظ "القرآن" بقراءتين صحيحتين متواترتين ثبتت قرآنيتهما عن سيدنا رسول الله ﷺ، **إحداهما مهموزة؛** أي: بقاف مضمومة، بعدها راء ساكنة بعدها همزة، وألف، ونون؛ "القُرْءان"، **والأخرى غير مهموزة**؛ أي: بقاف مضمومة بعدها راء مفتوحة، بعدها ألف، ونون؛ "القُرَان". **أما الأولى** فهي قراءة الجمهور، **وأما الثانية** فهي قراءة الإمام عبد الله بن كثير المكي وصلا ووقفا، وقراءة الإمام حمزة الزيات؛ وقفا فقط.

وقد ذهب العلماء – في الأصل الاشتقاقي لكلمة "قرآن" – إلى مذهبين:

المذهب الأول: لفظ "القرآن" مصدر من الفعل "قَرَأَ"، ويحتمل معنيين اثنين:

الأول: أن يأتي بمعنى "تلا"، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة: ١٧ – ١٨، والقراءة أو التلاوة هي ضم الحروف بعضها إلى بعض في النطق.

الثاني : أن يأتي بمعنى "جمع"، ومنه "القرية"؛ سميت كذلك لاجتماع الناس فيها ويقال: قرأ الماء في الحوض؛ أي: جمعه فيه، وروعي في هذا المعنى أنّ القرآن الكريم جمعت آياته وسوره، وجمعت فيه الأحكام والقصص ونحو ذلك.

المذهب الأول: لفظ "القرآن" مصدر من الفعل "قَرَنَ"، ويحتمل معنيين اثنين:

الأول: أن يأتي بمعنى "ضَمَّ"، يقال: قرن بين شيئين؛ أي: ضمّهما، ومنه عقد القران بين الزوجين، ومنه أيضا: القِرانُ؛ الذي هو أحد أنساك الحج الثلاثة، لأن القارن يجمع بين العمرة والحج في إحرام واحد.

الثاني : أن يأتي بمعنى "القرائن"، جمع "قرينة"، لأن القرآن يصدق بعضه بعضا، ويشبه بعضه بعضا.

وذهب الإمام الشافعي إلى أن لفظ "القرآن" غير مشتق، إنما هو اسم علم على كلام الله تعالى، مثل التوراة، والإنجيل.

ب – تعريفه اصطلاحا: إن الناظر في مصادر علوم القرآن وغيرها من الكتب التي تناولت تعريف القرآن الكريم؛ يجد أن العلماء قد وضعوا للقرآن الكريم تعريفات مختلفة، كالغزالي في المستصفى،، وابن السبكي في جمع الجوامع، والزركشي في البرهان والشوكاني في إرشاد الفحول، وغيرهم من الأئمة الأعلام، ومن أحسن من نظر في هذه التعريفات وناقشها، واستخرج منها التعريف المختار هو الدكتور عبد الحليم قابة ولذلك آثرت أن أعتمده دون غيره، لأنه تعريف جامع مانع، اقتصر فيه على ما يفي بالغرض، من تعريف القرآن الكريم وتمييزه عن غيره مما يشتبه به كالكتب السماوية والأحاديث القدسية، وهو كالآتي:

"هو كلام الله تعالى؛ العربي المعجز، المنزل -بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام- على رسول الله محمد ﷺ بأحرفه السبعة، لفظا ومعنى المحفوظ في الصدور والمكتوب في المصاحف العثمانية برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة وقراءاته المتعددة والمنقول إلينا بالتواتر، والمتعبد بتلاوته والمفتتح بسورة الحمد والمختتم بسورة الناس".

محترزات هذا التعريف:

لا شك أن بعض جزئيّات هذا التعريف تعتبر قَيْدا يمنع دخول معانٍ أخرى في تعريف القرآن الكريم، وهي كالآتي:

- **قوله** : "كلام الله"؛ منع دخول كل كلام سوى كلام الله تعالى، ككلام الملائكة والأنبياء، والرسل، والجن، والإنس.
- **قوله** : "المنزل"؛ منع دخول كلام الله تعالى غير المنزل، كالأوامر التي تعطى للملائكة.
- **قوله** : "على رسول الله محمد ﷺ"؛ منع دخول كلام الله تعالى المنزل على الأنبياء السابقين، والمتمثل الكتب السماوية السابقة؛ كالتوراة والإنجيل، وغيرهما.
- **قوله** : "المتعبد بتلاوته"؛ منع دخول كلام الله تعالى غير المتعبد بتلاوته، كالأحاديث القدسية، والقراءات الشاذة.

ثانيا: تعريف الكتاب.

يعتبر هذا الاسم من أشهر أسماء القرآن الكريم، وهو في المرتبة الثانية – بعد اسم "**القرآن** " – من حيث الشهرة والاستعمال، وقد ورد في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ ﴾ البقرة: ٢، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ المائدة: ٤٨، كما ورد أيضا مقرونا بلفظ " **القرآن** "، من ذلك قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ ﴾ الحجر: ١ وقوله تعالى: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ ﴾ النمل: ١. والكتاب في الأصل مصدر ثم سمي المكتوب فيه كتابا، وهو اسم للصحيفة مع المكتوب فيها، قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ النساء: ١٥٣،

أي: صحيفة فيها كتابة، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ ﴾ الأنعام: ٧ .

وفي لفظ " **الكتاب** " معنى الجمع، لأنه مأخوذ من الكَتْبِ؛ وهو ضم أديم إلى أديم بالخياطة، ولأن الكتابة تجمع الحروف في الخط، وسمي القرآن بذلك لأنه يجمع في ثناياه الأحكام والقصص والآيات والسور. والناظر في الاسمين؛ " **القرآن** " و"**الكتاب** " يجد أنهما يرجعان إلى أصل واحد؛ وهو الجمع، فالقراءة هي جمع الحروف بعضها إلى بعض في النطق، والكتابة هي جمع الحروف بعضها إلى بعض في الخط، قال الدكتور محمد عبد الله درّاز: "روعي في تسميته قرآنا؛ كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا؛ كونه مدونا بالأقلام فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا".

المحاضرة الثانية

تعريفات موجزة لمصطلحات متعلقة بعلوم القرآن

الوحي والمعجزة والنبي

أولا: تعريف الوحي.

الوحي في اللغة هو الإعلام الخفي، والإشارة السريعة، ويقال: "أَوْحَى" و"وَحَى" قال ابن فارس: "الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك"، **وقد وردت مادة الوحي** في القرآن الكريم بعدة معان لغوية، وهي كالآتي:

أ – أوامر الله تعالى لملائكته: كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ الأنفال: ١٢.

ب – أوامر الله تعالى للجمادات: كما في قوله تعالى عن السماء: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ فصلت: ١٢، وقوله تعالى عن الأرض: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ الزلزلة: ٤ – ٥.

ج – الإلهام الفطري للإنسان: كما في قوله تعالى عن أم موسى عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ القصص: ٧.

د – الإلهام الغريزي للحيوان: كما في قوله تعالى عن النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨﴾ النحل: ٦٨.

هـ – الإشارة: كما في قوله تعالى عن سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ مريم: ١١، أي: أشار إليهم.

و – الوسوسة الشيطانية: كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ الأنعام: ١١٢، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ﴾ الأنعام: ١٢١، أي: يوسوسون لهم.

أما تعريف الوحي اصطلاحا فهو: إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي، أو هو: إعلام الله تعالى لمن اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم.

ثانيا: تعريف المعجزة.

أ – تعريفها لغة: المعجزة في اللغة مأخوذة من مادة (ع ج ز)، والعَجْزُ أصله التأخر عن الشيء، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، وقد ورد في قوله تعالى على لسان أحد ابني آدم عليه السلام: ﴿قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ المائدة: ٣١، يقال: أَعْجَزْتُ فلانا وَعَجَّزْتُهُ، وَعَاجَزْتُهُ؛ أي: جعلته عاجزا، وسميت العجوز كذلك؛ لعجزها في كثير من الأمور، وعاجز الرجل؛ إذا هرب فلم يقدر عليه.

ب – تعريفها اصطلاحا: المعجزة أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يجعله الله تعالى على يد رسوله، شاهدا على صدقه.

أمثلة:

* **معجزة سيدنا موسى عليه السلام**: جاء سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون وسحرته باسم الله الذي أرسله؛ فألقى عصاه المصنوعة من الخشب، والتي لا روح فيها ولا حركة، فإذا هي حية تسعى وإذا هي تلقف ما قدمه سحرة فرعون من سحر، فغلبهم وأعجزهم رغم أنه كان وحده، ولم يعرف عليه من قبل أنه عالج السحر، وأنهم كانوا جماعة، ونابغين في السحر، **قال تعالى**:
﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ الأعراف: ١١٣ – ١١٩.

* **معجزة سيدنا عيسى عليه السلام**: جاء سيدنا عيسى عليه السلام إلى قوم نبغوا في الطب أيّما نبوغ ومهروا فيه أيّما مهارة، ومع ذلك فقد تحداهم وأعجزهم فيما نبغوا فيه، وذلك بإبرائه الأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير، فنفخ فيها فكانت طيرا بإذن الله، قال

تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ ﴾ المائدة: ١١٠.

* **معجزة سيدنا محمد ﷺ**: جاء سيدنا محمد ﷺ إلى قوم عرب أقحاح، ملكوا ناصية اللسان العربي، فكانوا أئمة البلاغة والبيان، وتحدّاهم بالقرآن الكريم الذي نزل بلسانهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ يوسف: ٢، ومع ذلك فقد عجزوا أن يأتوا بمثله قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ الإسراء: ٨٨، وقال أيضا: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ هود: ١٣ وقال أيضا: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: ٢٣، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة واحدة من مثله.

ثالثا: تعريف النبي.

أ – تعريفه لغة: النبي بغير همز مأخوذ من النَّبْوَةِ أو النّبَاوَة؛ أي: الرفعة والارتفاع وسمي النبيّ نبيّا لرفعة مقامه، وعلوّ مكانه، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ مريم: ٥٧.

والنبيء بالهمز مشتق من النبأ؛ أي: الخبر ذو الأهمية، قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴾ ص: ٦٧، وجمعه: أنباء، قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَ ﴾ هود: ٤٩، **يقال**: أنبأته ونبّأته؛ أي: أعلمته، ويصحّ أن يتعدّى بالباء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ التحريم:

٣.**والنبيء** على وزن فعيل، لأنه أنبأ عن الله؛ أي: أخبر عن وحيه، وأحكامه، وشريعته، وكِلا اللفظين صحيح، وهما لغتان فاشيتان مقروء بهما في القرآن الكريم.

ب – تعريفه اصطلاحا: النبي هو رجل حرّ، بعثه الله إلى قوم مؤمنين بشرع سابق فلا ينزل عليه كتاب، إنما يعمل بشريعة من قبله، ويذكر قومه ما نسوه، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه.

والفرق بينه وبين الرسول: هو أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو من بعث لتقرير شرع من قبله.

المحاضرة الثالثة

نزول القرآن الكريم

أولا – معنى نزول القرآن.

النزول في اللغة هو الإيواء إلى مكان والحلول فيه، أو هو الانحطاط من علو، وقد وردت مادة (ن ز ل) في القرآن الكريم على صيغتين؛ **إحداهما** : التنزيل، ومنه الفعل "نزّل"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ السجدة: ٢، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ البقرة: ١٧٦ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، وشبه ذلك.

والصيغة الأخرى هي الإنزال، ومنه الفعل "أَنزل"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ آل عمران: ٧، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ البقرة: ٩٩، وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٥، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر: ١، وشبه ذلك.

وهناك فرق بين الصيغتين؛ أما صيغة التنزيل فتفيد تنزيله مفرقا بحسب الوقائع والأحداث على قلب رسول الله ﷺ، وأما صيغة الإنزال فتفيد إنزاله جملة واحدة.

وقد اختلف العلماء في كيفية نزول القرآن الكريم، وتلقي جبريل عليه السلام له، فهل تلقفه عن الله تلقفا روحانيا، أم أنه كان يأخذه من اللوح المحفوظ، ثم ينزل به إلى رسول الله ﷺ ؟

إن الناظر في النصوص الشرعية يجد أن جبريل عليه السلام قد تلقى القرآن الكريم من الله تعالى وسمعه منه، فعن النّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم بالوحي أخذت السَّماوات منه رجفة –أو قال: رعدة– شديدة؛ خوفًا من الله، فإذا سمع ذلك أهلُ السَّماوات صعقوا وخرُّوا لله سُجَّدًا، فيكون أول مَن يرفع رأسه جبريل، فيُكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة، كلما مرَّ بسماءٍ

سأله ملائكتُها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فيقولون كلهم مثلما قال جبريل، فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله".

يستفاد من هذا الحديث أن الله عز وجل تكلم بالقرآن الكريم، وأن جبريل عليه السلام قد سمعه منه، وهذا لا يتنافى مع كون القرآن الكريم مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل نزوله، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ٢١ - ٢٢، وقال أيضا: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الواقعة: ٧٧ – ٨٠، فجبريل عليه السلام قد تلقاه من لدن ربّ العزة، سواء أكان الله قد كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يرسل جبريل عليه السلام أم بعد ذلك.

كما لا يتنافى مع ما روي عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ القدر: ١، أن الله أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بواسطة جبريل عليه السلام بعد ذلك مفرقا بحسب الوقائع والأحداث، فلا مانع أن يكون قد أنزله مكتوبا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر.

ثانيا – تنزلات القرآن الكريم.

وردت في القرآن الكريم ثلاث آيات تبين وقت نزول القرآن الكريم، **أما الأولى** فقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ البقرة: ١٨٥، **وأما الثانية** فقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ الدخان: ٣، **وأما الثالثة** فقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ القدر: ١، ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث، بل أفادت أن القرآن الكريم أنزل في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، وأن هذه الليلة هي إحدى ليالي شهر رمضان المعظم.

وهنا إشكال: إذا كانت هذه الآيات تثبت نزول القرآن الكريم في شهر رمضان فكيف نوجّه النصوص الحديثية التي تثبت أن القرآن الكريم نزل في غير شهر رمضان؟

الجواب: أنزل في ليلة القدر من شهر رمضان جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك على رسول الله ﷺ مفرّقا بحسب الوقائع والأحداث التي جرت في رمضان وغير رمضان، أو نزل ابتداء دون سبب، في رمضان وفي غير رمضان.

وقد سأل عطيةُ بن الأسود عبدَ الله ابن عباس رضي الله عنهما فقال: وقع في قلبي الشك من قوله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾، وقد أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي المحرم، وشهر ربيع، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : "إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر، وفي ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلا في الشهور والأيام".

وبناء على ما سبق فإن للقرآن الكريم ثلاث تنزلات، وهي كالآتي:

التنزّل الأول: نزوله إلى اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢ ﴾ البروج: ٢١ – ٢٢، وكان ذلك جملة واحدة.

التنزّل الثاني: نزوله إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة، كما أفاد حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق.

التنزّل الثالث: نزوله على قلب رسول الله ﷺ مفرّقا بحسب الوقائع والأحداث كما أفاد حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق أيضا، وكان ذلك خلال ثلاث وعشرين سنة.

وقد ذكر العلماء إلى جانب هذا الرأي، رأيين آخرين:

الأول: أن للقرآن الكريم نزولا واحدا، وهو نزوله مفرقا حسب الوقائع والأحداث قال به الإمام الشعبي ومن تبعه، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ۝١٠٦ ﴾ الإسراء: ١٠٦، وقالوا: إن المراد بالنزول في ليلة القدر هو ابتداء نزوله، لأن الفعل يطلق على ابتداء الفعل، ولأن الأمور العظيمة يؤرخ لها ببداياتها.

الثاني : أن القرآن الكريم كان ينزل مفرقا، ينزل منه في كل ليلة قدر إلى السماء الدنيا ما يكتب الله إنزاله على رسول الله ﷺ في تلك السنة، وذلك خلال فترة البعثة أي: في ثلاث وعشرين سنة، وقد ذكر هذا القول الإمام الرازي، ونسبه إلى بعض المفسرين، ولا يوجد أي نص يعضده.

ولذلك فإن القول الراجح هو قول عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الذي ذهب إليه جمهور العلماء.

المحاضرة الرابعة

بدايات الوحي ونزول القرآن منجّما

أولا: بدايات الوحي.

كانت بداية الوحي لرسول الله ﷺ عن طريق الرؤيا، فكان كلما رأى رؤيا تحققت تلك الرؤيا، وجاءت واضحة بيّنة مثل فلق الصبح، وكان ذلك تمهيدا للنبي ﷺ حتى أرسل الله له جبريل عليه السلام وهو في غار حراء، فأوحى إليه ما أوحى، وكان ذلك أول مرة ينزل فيها القرآن الكريم، وكان أول ما نزل منه الآيات الأولى من سورة العلق.

وقد روت لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - في هذا الباب - حديثا مطولا **يسمى حديث الوحي**، وهو حديث صحيح، رواه الإمام البخاري وغيره من أئمة الحديث وهو كالآتي:

عن أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللهِ، مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ

خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرءًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَبَرِ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ؛ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا".

ثانيا: نزول القرآن الكريم منجّما.

01 – معنى التنجيم: التنجيم في **اللغة** هو: التفريق والتوزيع، فعله: نجّم، وأنجم أي: فرّق ووزّع، يقال: نجّمت المال، إذا فرقته ووزعته ، أما **اصطلاحا** فهو: نزول القرآن على دفعات شتّى، مفرقا أجزاء أجزاء على النبي ﷺ طيلة فترة البعثة.

والدليل على نزول القرآن الكريم منجما، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ الإسراء: ١٠٦.

وقوله أيضا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ الفرقان: ٣٢.

وحديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - السابق؛ وهو قوله: "إنّه أنزل في رمضان في ليلة القدر، وفي ليلة مباركة جملة واحدة، **ثم أُنزل على مواقع النجوم ترتيلا في الشهور والأيام**".

02 – الحِكم والفوائد من نزول القرآن الكريم منجّما.

أ – تثبيت قلب النبي ﷺ، لأنه كان يواجه عدوانا شديدا من قومه، ويتلقى منهم ألوانا من الأذى والاضطهاد والتثبيط، وهذا ما قد يشعره باليأس والفتور، فكان

الوحي ينزل عليه مرة بعد مرة؛ ليثبت فؤاده، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ الفرقان: ٣٢.

ب – تيسير حفظه وفهمه، لأن القرآن الكريم أنزل على قوم أغلبهم أمّيين، لا يقرءون ولا يكتبون، ولو نزل عليهم القرآن الكريم جملة واحدة لصعب عليهم أن يحفظوه، ولكن لما كان ينزل شيئا فشيئا؛ سهل عليهم حفظه.

ج – التدرج في التشريع، لأن القرآن الكريم فيه جملة من الأوامر والنواهي، ولأن الناس كانوا على عقائد وأعمال فاسدة زمنا طويلا، فكان من الصعب أن توجّه إليهم هذه الأوامر والنواهي دفعة واحدة، قالت عائشة رضي الله عنها: "...إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا...".

د – تقديم إجابات على شبهات المشركين، لأنهم جابهوا الدعوة بحملات تشكيكية عنيفة، وقد أثاروا جملة من الشبهات قصد إبطال الدعوة التي جاءهم بها النبي ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ الفرقان: ٣٣، أي: ولا يقولون قولا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، الدامغ له، وهو أبين وأوضح وأفصح من مقالتهم.

هـ – تقديم إجابات عن أسئلة المسلمين، لأنهم كانت تعرض لهم مسائل لا يعلمون حكم الشرع فيها فيذهبون إلى رسول الله ﷺ ويسألونه عنها، فيتولى القرآن الكريم الإجابة عنها وكانت تلك الآيات تنزل مصدّرة بقوله تعالى: "يسألونك"، مثل قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ البقرة: ١٨٩، وقوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

ﭐلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٧، وقوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ الأنفال: ١.

و – الإشارة إلى وجه من وجوه الإعجاز، وذلك في ترتيب آياته، لأن ترتيب النزول غير الترتيب الذي استقر في المصاحف، فمثلا: تعتبر سورة العلق من السور الأولى في ترتيب النزول ولكنها من السور الأخيرة في ترتيب المصحف الشريف، وهذا وجه من وجوه الإعجاز، حيث كانت آيات السورة الواحدة تنزل متباعدة جدا من حيث الزمن، ولكن ذلك لا يخلّ بتناسقها وتناسب سياقها في السورة، كما حصل مع سورة البقرة.

المحاضرة الخامسة

ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره

أولا : ترتيب آيات القرآن الكريم

أ – **تعريف الآية:** وردت كلمة "الآية" بمعان مختلفة، نذكر منها ما يلي:

❖ وردت بمعنى " **العلامة**"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ البقرة: ٢٤٨، أي: إن علامة ملكه.

❖ وردت بمعنى "**المعجزة**"، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ٣٨، أي: وما كان لرسول أن يأتي بمعجزة، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ الإسراء: ٥٩، أي: وما منعنا أن نرسل بالمعجزات إلا أن كذب بها الأولون.

❖ وردت بمعنى " **العبرة** "، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الحجر: ٧٧، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ النحل: ١٣، وشبههما.

أما في الاصطلاح: فهي طائفة من القرآن الكريم، ذات مطلع ومقطع، مندرجة في سورة من القرآن.

ب – **ترتيب الآيات بين التوقيف والتوفيق.** ذهب العلماء إلى أن ترتيب آي القرآن الكريم في المصحف الشريف؛ هو ترتيب توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه، وقد استدلوا بما يلي:

❖ **حديث ابن الزبير** الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه، قال ابن الزبير: قلت لعثمان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ البقرة: ٢٤٠، نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال عثمان: "يا ابن أخي لا أغيّر شيئا من مكانه"، فقول عثمان رضي الله عنه: "لا أغيّر شيئا من مكانه"، دليل على أن الترتيب توقيفي، وليس له أن يجتهد فيه.

❖ **حديث عمر ين الخطاب رضي الله عنه،** الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه قال عمر رضي الله عنه: ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، حتى طعن بأصبعه صدري، وقال: "تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء"، فقوله ﷺ: "التي في آخر سورة النساء"، دليل على أن الآيات كانت مرتبة في زمن النبوة بتوقيف منه ﷺ، وبوحي من الله عز وجل، ولا دخل لاجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في ذلك.

❖ **حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه** ، الذي رواه الإمام أحمد في مسنده قال عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شَخَصَ ببصره ثم صوَّبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ... ﴾ النحل: ٩٠".

فقوله ﷺ: "أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة" دليل على أن ترتيب الآيات توقيفي، وكان بوحي من الله تبارك وتعالى.

ثانيا: ترتيب سور القرآن الكريم.

أ – تعريف السورة: السورة **في اللغة** **هي** : المنزلة الرفيعة، وسور المدينة حائطها المشتمل عليها وسورة القرآن تشبيها بها، لكونه محاطا بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر، وقيل: أصلها بالهمز "سؤرة"، ثم أبدلت الهمزة طلبا للتخفيف، والسؤر بقية الشراب، أي: قطعة منه، وسميت السورة من القرآن كذلك لأنها قطعة منه.

وفي الاصطلاح هي: "طائفة مستقلة من آيات القرآن الكريم، ذات مطلع ومقطع".

ب – ترتيب السور بين التوقيف والتوفيق.

مذاهب العلماء في ترتيب السور –من حيث التوقيف والتوفيق– ثلاثة، وهي كالآتي:

* **المذهب الأول** : ترتيب السور في المصحف الشريف الذي هو بين أيدينا الآن بمختلف طبعاته ورواياته، هو عمل اجتهادي من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولم يكن بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال به كثير من العلماء، منهم الإمام مالك رحمه الله واستدلوا بما يلي:

❖ حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتموهما في السبع الطوال، فقال عثمان رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه شيء، دعا بعض من يكتب، فيقول: "ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبيّن لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما،ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتهما في السبع الطوال".

❖ مصاحف الصحابة الكرام رضي الله عنهم، لم تكن على ترتيب واحد قبل الجمع الأخير في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

❖ ثبت عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قرأ سورة النساء قبل سورة آل عمران، وعلى ذلك كان ترتيب مصحف سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، ولكن الترتيب الذي بين أيدينا الآن هو غير ذلك، حيث إن سورة آل عمران قبل سورة النساء.

❈ **المذهب الثاني:** ترتيب السور في المصحف الشريف الذي هو بين أيدينا الآن بمختلف طبعاته ورواياته، هو توقيفي من النبي ﷺ، وليس اجتهادا من الصحابة الكرام رضي الله عنهم واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

❖ أجمع الصحابة رضي الله عنهم على ترتيب واحد عند الجمع الأخير في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولم يتمّ إجماعهم ذلك إلا لأن ذلك الترتيب كان عن توقيف من النبي ﷺ، فلو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم.

❖ حديث حذيفة الثقفي رضي الله عنه، قال: "كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف...فقال لنا رسول الله ﷺ: طرأ علي حزب من القرآن فأردت ألا أخرج حتى أقضيه، فسألْنا أصحابَ رسول الله *، قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشر سورة، وثلاث عشرة وحزب المفصل من "ق" حتى نختم"، وفي هذا دليل على أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن كان على عهد رسول الله ﷺ.

❈ **المذهب الثالث** : ترتيب السور في المصحف الشريف الذي هو بين أيدينا الآن بمختلف طبعاته ورواياته، هو توقيفي من النبي ﷺ، في بعض السور، واجتهاد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم في البعض الآخر، واستدل أصحاب هذا القول بالجمع بين الأدلة التي استدل بها أصحاب المذهبين الآخرَيْن، فذهبوا إلى أن كثيرا من السور قد وردت نصوص في ترتيبها، كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصّل، وما عدا ذلك مما لم

يرد في ترتيبه نص رُتّب باجتهاد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذهب البيهقي إلى أن ترتيب السور كله توقيفي إلا سورتي التوبة والأنفال.

القول الراجح: قال السيوطي: "والذي ينشرح له الصدر؛ ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته صلى الله عليه وسلم سورا ولاء، على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران، لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، فلعلّه فعل ذلك لبيان الجواز".

المحاضرة السادسة

القرآن المكي والمدني

أولا: معنى المكي والمدني.

لقد دامت فترة النبوة ثلاثا وعشرين سنة، وتمثلت في مرحلتين أساسيتين؛ المرحلة المكية، ودامت ثلاث عشرة سنة، والمرحلة المدنية ودامت عشر سنوات، ولكل من المرحلتين خصائص ومميزات.

وقد واكب القرآن الكريم المرحلتين معا، وكان ينزل منه ما يوافق كل مرحلة في وقته المناسب الذي قدّره الله تعالى له، ومن هنا اهتم العلماء بوجوب معرفة المكي والمدني من القرآن الكريم على من يريد أن يفسر شيئا من كلام الله تعالى.

وقد اختلف العلماء وتعددت أقوالهم في تحديد الضابط في معرفة القرآن المكي من القرآن المدني، وهي كالآتي:

- **القول الأول:** أن يكون الضابط في تحديد المكي والمدني **هو المكان** **فالمكي** ما نزل في مكة المكرمة ولو بعد الهجرة، وألحقوا به ما نزل في ضواحي مكة كمنى وعرفات وغيرهما، **والمدني** ما نزل في المدينة المنورة، وألحقوا به ما نزل في ضواحي المدينة كأُحد، وغيره.
- **القول الثاني:** أن يكون الضابط في تحديد المكي والمدني **هم الأشخاص المخاطبون، فالمكي** ما كان خطابا لأهل مكة، **والمدني** ما كان خطابا لأهل المدينة، واستندوا في ذلك إلى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كل شيء نزل فيه "يا أيها الناس" فهو بمكة، وكل شيء نزل فيه "يا أيها الذين آمنوا" فهو بالمدينة".
- **القول الثالث:** أن يكون الضابط في تحديد المكي والمدني **هو الزمان**، وجعلوا الهجرة النبوية الشريفة هي الفاصل، **فالمكي** ما كان قبل الهجرة، وألحقوا به ما نزل أثناء الهجرة؛ في الطريق بين مكة والمدينة، أي: قبل أن يصل النبي ﷺ إلى

المدينة المنورة، **والمدني** ما نزل بعد الهجرة؛ ولو في مكة، أو في بعض الأسفار خارج مكة والمدينة.

❋ مناقشة الأقوال واختيار الراجح:

أما **القول الأول** فهو غير مطّرد، ولا ينطبق على جميع القرآن الكريم، لأن من القرآن الكريم ما نزل في غير مكة والمدينة، ولا سبيل إلى تصنيفه مع المكي أو مع المدني بهذا الضابط.

وأما **القول الثاني** فهو غير مطّرد أيضا، ولا ينطبق على جميع القرآن الكريم، بل إن القسم الأكبر من القرآن الكريم، ليس فيه "يا أيها الناس"، ولا "يا أيها الذين آمنوا"، ولا سبيل إلى تصنيفه مع المكي أو مع المدني بهذا الضابط.

وأما **القول الثالث** فلا اعتراض عليه، وهو أشهر الأقوال وأضبطها، لأنه يمتاز بالشمول والاستيعاب لكل آيات القرآن الكريم، **وهو القول الراجح**.

ثانيا: فوائد معرفة المكي والمدني.

- معرفة الناسخ من المنسوخ، لاسيما وأن ذلك مما تترتّب عليه الأحكام الشرعية، فمتى علمنا أن آية ما مكية، وأخرى مدنية، تقرر أن المدنية هي الناسخة والمكية هي المنسوخة.
- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم، تفسيرا صحيحا.
- معرفة تفاصيل السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية.
- الاستفادة من أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى وتطبيقها في الواقع، خاصة في مراعاة مقتضى الحال، والتدرج في التشريع.
- معرفة أسباب النزول، فمتى علمنا فترة النزول وقفنا على الظروف والأحوال التي اكتنفت نزول الآية الكريمة.

المحاضرة السابعة

أول ما نزل من القرآن الكريم

لقد ثبت – في أول ما نزل من القرآن الكريم – نصّان صحيحان؛ أحدهما: يفيد أن الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي أول ما نزل، والآخر: يفيد أن أول ما نزل هو "يا أيها المدّثر..."، وهما كالآتي:

الحديث الأول: عن أُمّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِ ئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَات الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَ لَكُ فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِ ئ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِ ئ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِ ئ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾...".

الحديث الثاني: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: "سألت جابر بن عبد الله: أيُّ القرآن أُنزل قبل؟ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ المدثر: ١، فقلت: أُنبِئْتُ أنه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: جاورت في حراء فلما قضيت جواري؛ هبطت فاستبطنتُ الوادي، فنوديت فنظرت أمامي، وخلفي وعن يميني، وعن شمالي، فإذا هو جالس على كرسي بين

السماء والأرض، فأتيتُ خديجة فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء باردا، وأنزل علي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾".

وبإعمال مسلك الجمع بين النصين عند تعارض الأدلة، يتبيّن أنه لا تعارض بين الحديثين، وأن أول ما نزل هو الآيات الخمس الأولى من سورة العلق ابتداء، ثم فتر الوحي وكان أول ما نزل بعد فتور الوحي هو "يا أيها المدّثّر"، لاسيما وقد جاء في بعض روايات الحديث الثاني قوله ﷺ: "...فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء"، كما جاء أيضا في بعض روايات الحديث الأول قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "...ثم لم ينشب أن توفي ورقة وفتر الوحي".

نخلص مما سبق إلى أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق هو ﴿ ٱقْرَأْ ﴾، وأن أول ما نزل بعد فتور الوحي هو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾، فالأولى أخبرته بأنه نبي مرسل، والثانية أمرته بالتبليغ.

المحاضرة الثامنة

آخر ما نزل من القرآن الكريم

اختلف العلماء في أيّ القرآن نزل آخرا على أقوال متعددة، نذكر منها ما يلي:

❖ قيل: آية الرّبا، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ البقرة: ٢٧٨.

❖ وقيل: آية الدَّيْن، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ البقرة: ٢٨٢.

❖ وقيل: قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ ﴾ النساء: ١٧٦.

❖ وقيل: قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾ النصر: ١ - ٣.

❖ وقيل: قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ المائدة: ٣.

❖ وقيل: قوله تعالى: لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ التوبة: ١٢٨.

وأما القول الراجح الذي عليه جمهور العلماء؛ فهو قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ البقرة: ٢٨١، واستندوا في ذلك إلى ما ثبت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، بأن هذه الآية هي آخر ما نزل على قلب رسول الله ﷺ، وأنه لم يعش بعدها إلا تسع ليال.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يمكن الجمع بين هذا القول، والقول بآية الربا، والقول بآية الدين، لأن هذه الآيات كلها في موضع واحد من المصحف الشريف، وعلى هذا الترتيب: آية الربا، ثم قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، ثم آية الدَّيْن فلعلها نزلت جميعا دفعة واحدة.

ثالثا: فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

- بيان العناية الفائقة التي حظي بها القرآن الكريم منذ زمن النبوة، فقد حفظ لنا الصحابة الكرام كل شيء عن آيات القرآن الكريم.
- تمييز الناسخ من المنسوخ، لاسيما وأن ذلك مما تترتّب عليه الأحكام الشرعية فمتى علمنا أن آية كذا نزلت بعد آية، تقرر أن التي نزلت أولا هي المنسوخة.
- الوقوف على أسرار التشريع الإسلامي، وكيف عالج النفس البشرية، وتدرج بها في الأحكام الشرعية.
- معرفة تاريخ التشريع الإسلامي وتدرجه.